

الملاحظات

قام حضرة بهاء الله بذلك الإعلان بواسطة إنزال لوح خاص عُرف بـ "سورة الأمر". عرض فيها بجلاء دعوته وبين طبيعة رسالته. وكلف ميرزا آقا جان، كاتب وحيه، بتسليم السورة شخصياً لميرزا يحيى، ثم قراءتها بصوت عال أمامه ومطالبته بالإجابة عليها بنحو قاطع. طلب ميرزا يحيى مهلة من الوقت ليتمكن فيها من التأمل قبل الإجابة، فأعطي له ما أراد. في اليوم التالي أجاب بأنه هو أصبح صاحب وحي سماوي، ويتعين على كل سكان العالم إتباعه والولاء لشخصه.

إن ادعاءً كهذا من جانب شخص كان تجسيداً للخداع والباطل استحق غضب الله، واعتبر بشكل واضح علامه الافتراق النهائي بين حضرة بهاء الله وميرزا يحيى. يجب علينا التذكر بأن أغلب المؤمنين في أدرنة كانوا موالين لحضره بهاء الله ويدينون له بأخلاق متfan. أما القلة الباقية فكانوا نفراً قليلاً من الأشرار مثيري الفساد والفتنة، وأخرين من ذوي النفوس الضعيفة المتذبذبة. كان الاتصال والمعاشرة بينهم وثيقاً بحيث سرعان ما ولد فتناً وامتحانات كبرى خلال تلك الفترة. ذاق أصحاب حضرة بهاء الله مر العذاب والأحزان منذ إبعادهم إلى أدرنة نتيجة لحركات ميرزا يحيى وزمرته وتصرفاتهم. بتنزول "سورة الأمر" ورد فعل ميرزا يحيى عليها وما تلاها، دخل الخلاف

والصراع بين قوى النور والظلام مرحلة الافتراق والفصل. كما فعل باعتزاله في كردستان عندما انصرف المتشككون (البابيون) إلى أفعال وتصرفات مخزية هادمة لأمر الله، قام حضرة بهاء الله، الذي كان مقيماً حينئذ في بيت "أمر الله"، بالانسحاب مع أسرته إلى دار مجاورة لبيت رضا بيك. كانت قد استؤجرت بأمره، ورفض مقابلة أي شخص. كان ذلك في العاشر من آذار سنة ١٨٦٦م. أما سبب اعتكافه، والذي استمر لفترة قصيرة لحسن الحظ، فكان مماثلاً للذي دفعه لعزلته في كردستان قبل ذلك بعقد من السنين، إلا وهو تخفيف التوتر وتهيئة مشاعر العداء التي كانت بذرتها في قلوب بعض الأتباع من قبل ميرزا يحيى وأججت نيرانها بما فعله مؤخراً.

كان لعزلة حضرة بهاء الله في تلك المناسبتين أثر عنيف في نفوس المخلصين والمعرضين. فقد تركت عصبة المنفيين أمام وضع يلزمهم الاختيار بينه وبين ميرزا يحيى. بالنسبة للمؤمنين المخلصين الذين تغذّت أرواحهم بمدد فضله الدائم فإنهم وجدوا أنفسهم وقد منعوا فجأة عن منيع الحياة، وانطفأ النور من وسطهم تاركاً أرواحهم هائمة في عالم الظلمة والحرمان. بعثة وجد تلاميذ حضرة بهاء الله الحقيقيون، وعشاق جماله، أنفسهم كالنبت الذابل المحروم من الماء والنور، وقد هبطت معنوياتهم وما من سلوى لمواساتهم حتى أنهم لم يكونوا ليترددوا بفداء أرواحهم وما ملكوا لو كان فيه عودة الوصل بمحبوبهم.

فيما يلي وصف موجز بخصوص عزلة حضرة بهاء الله في بيت رضا بيك نقله النبيل عن آقا كليم، الأخ المخلص الوفي والنصير القوي لحضرت بهاء الله، والذي حمل مع حضرت عبد البهاء شتى الأعباء والمسؤوليات إبان فترات الشدة والافتتان، لا سيما خلال فترة عزلة حضرة بهاء الله في بيت رضا بيك:

”شهد ذلك اليوم الفزع الأكبر. فقد ناح الأصحاب جميعاً على احتجاب الجمال المبارك عنهم.“

كلمة أخرى تركها للأجيال أحد أصحاب حضرت بهاء الله الموجودين وقتئذ يصف فيها مشاعر بقية الأحباء في تلك المحنـة:

”تلك الأيام امتازت بالهرج والمرج. فقد غلبتنا الحيرة واعتربنا الخوف العظيم من أن نُحرِّم على الدوام من نعمة محضره.“

حتى الأعداء والنفوس المتذبذبة الذين انحازوا مع ميرزا يحيى، وغالباً ما تشرفوا بمحضر حضرت بهاء الله، فكانوا في خيبة وخسران نتيجة لعزلته. كيف لا وقد وجدوا أنفسهم محرومين من يد حضرت بهاء الله التي وجدوا في ظل هديها كل حماية ورعاية وعطاف رغم غدرهم وعدم وفائهم. لقد وجدوا أنفسهم في وسط فتنـة تسوقهم سراعاً

صوب مصيرهم المحتوم وليس ما يعتمدون عليه سوى جهودهم الشخصية. بمرور الزمن استمر حبل مكرهم وكيدهم يلتف حول أنفاسهم حتى هلكوا هلاكًا مخزيًا.

عندما انتقل حضرة بهاء الله من بيت "أمر الله" إلى بيت رضا بيك، أمر أخاه آقا كليم بتقسيم كل أثاث المنزل بما فيه لوازم الفراش وأدوات المطبخ إلى قسمين متساوين وإرسال قسم إلى منزل ميرزا يحيى، وكذلك ضمان استلام الأخير استحقاقه من إعانة الدولة المالية المخصصة للمنفيين. أشار أيضًا بتسليمه عدة أشياء خاصة بحضور الباب مثل خواتيمه وأختامه وبعض المخطوطات. ذلك لأن ميرزا يحيى كان يتوق دومًا لامتلاك هذه الآثار العائدة لحضرتة الباب والتي كان حضرته قد بعث بها، قبل استشهاده، خصيصًا لحضرتة بهاء الله.

عقب اعتكافه في بيت رضا بيك، أخذ حضرة بهاء الله خادمًا واحدًا فقط لنفسه وأسرته. أمر آقا كليم أيضًا باتخاذ واحد من الأصحاب لخدمته، وتعيين أي واحد من المؤمنين قد يختاره ميرزا يحيى خادمًا لأهل بيته. اختار الأخير الدرويش صدق علي^(١)، أحد أكثر أصحاب حضرة بهاء الله إخلاصاً. لما أُخبر بهذا، وجه حضرة بهاء الله آقا كليم ليخبر الدرويش بالذهاب إلى ميرزا يحيى والقيام على خدمته بكمال الإخلاص والأمانة، مبيناً له بأن ما من أحد من المنكرين قادر أن يسلبه ما يكنه بقلبه

^(١) للمزيد من قصة حياته راجع "تنكرة الوفاء"؛ والمجلد الأول من "ظهور حضرة بهاء الله"، الصفحة 306؛ والصفحة 321-324 من هذا المجلد.

من حب للجمال المبارك. كما أوصى الدرويش بتلاوة "لوح ليلة القدس"⁽²⁾ النازلة في حقه، مطمئناً إياه بأنه عند قراءته هذه المرة سيتمكن من فهم ما خفي من معانيه.

ما كاد آقا كليم يخبر الدرويش بتعليمات حضرة بهاء الله حتى خر ساجداً تعبيراً عن خصوصه وامتنانه لمولاه، وقال بأن هذه الرسالة (الشفوية) من حضرة بهاء الله ولطفه كانا كافيين لرفع معنوياته، وأنه سيظل سعيداً ولو قدر له العذاب والعناء طيلة حياته. خلال فترة خدمته لميرزا يحيى، عرض الأخير عليه مبلغاً من المال لكن الدرويش رفضه قائلاً له بأن حضرة بهاء الله ضمن له رزقه، وبأنه قبل خدمة ميرزا يحيى فقط تلبية وإطاعة لأمر حضرة بهاء الله وليس في سبيل المال. لكن لم يقدر للدرويش أن يبقى طويلاً في خدمة ميرزا يحيى، إذ تدخلت سلسلة من الأحداث والأمور لإنقاذه من تلك المهمة المقيمة. وكما سنرى فيما بعد، بعد اعتكاف حضرة بهاء الله في بيت رضا بيك بقليل، امتنع كافة أتباع حضرة بهاء الله عن معاشرة ميرزا يحيى امتناعاً تاماً وتظهروا من حيث شيطنته.

انظر الصفحة 184. ⁽²⁾

يوم الفصل الأكبر

كان اعتكاف حضرة بهاء الله في بيت رضا بيك وامتناع التقاء المنفيين من المؤمنين بحضورته، قد خلق جواً سمح لبعض النفوس الخبيثة من المنكرين بالانقلاب علينا ضد حضرته والانضمام إلى ميرزا يحيى. فقام السيد محمد الإصفهاني، الذي ما فتئ حتى ذلك الحين على اتصال بحضره بهاء الله ومعاشره أتباعه من الأحباء، بالانضمام جهراً إلى ميرزا يحيى، الناقض الأكبر لعهد حضرة الباب وميثاقه، وقد شجعه على ذلك غياب حضرة بهاء الله فخيّل للسيد محمد بأن الساحة قد خلت له ليفعل ما يشاء. تلا ذلك فترة من النشاط المكثف لعب الدور الرئيس فيها كل من ميرزا يحيى والسيد محمد. وبعون من حلفائهم ورفاق السوء حرروا رسائل محسنة بالمفتيّات والأباطيل ضد حضرة بهاء الله وأرسلوها لتنشر بين المؤمنين في إيران والعراق.

سببت هذه الرسائل كثيراً من الحيرة والخلاف لدى بعض البابيين في إيران. أثر ذلك القذف والافتراء في بعض الأفراد فقدوا إيمانهم تماماً. هناك من البابيين من كتبوا لحضره بهاء الله راجين الهدي والاستنارة. جواباً على ذلك نزلت عدة ألواح في تلك الفترة. ولكن بعض آخرين من الأحباء بلغوا مرحلة الإيقان في دينهم. هؤلاء النفوس أقدموا، تأثراً من انتشار تلك الرسائل الشريرة، على اتخاذ إجراء مضاد وذلك بموازنة

آخرين كان حضرة بهاء الله قد اختارهم خصيصاً، مثل النبيل، للقيام على نصرة أمره. فتمكنوا من الدفاع عنه بكل جدارة ضد تلك النفوس الأنانية بين أفراد الجامعية البابية ممن عقدوا العزم على إحداث الفرقة وتمزيق أمر الله.

لقد كشف ميرزا يحيى عن نفسه، بأفعاله، أمام الجامعية البابية عن عصيانه ونقضه للعهد المكين الذي أخذه حضرة الباب بحق "من يظهره الله"، ذلك العصيان الذي حرص حضرة بهاء الله كثيراً على كتمانه والتستر عليه. بدأت الآن تنزل على المؤمنين الفتنة والامتحانات التي أنبأ بها حضرة بهاء الله في الواحده. لقد خلقت أخبار عصيان ميرزا يحيى وإعراضه، ذلك الذي كان خليفة حضرة الباب الاسمي، اضطرباً عظيماً بين البابيين، وعملت على إعلان الانفصال التام والفصل بينه وبين أخيه اللامع.

في هذه الفترة عهد ميرزا يحيى إلى أحد أصحابه بمجموعة وثائق لينشرها بين البابيين في إيران. لكن عندما علم هذا الرجل بمحتوها رفض تلبية الطلب وقام بدلاً من ذلك بإطلاق بعض المؤمنين المخلصين (لحضرة بهاء الله) عليها. احتوت هذه الأوراق على عدة أقوایل باطلة ومفتريات تتهم حضرة بهاء الله بالأفعال المنكرة والجرائم نفسها التي ارتكبها ميرزا يحيى. أخيراً قدر لها أن تقع في أيدي أتباع حضرة بهاء الله في أدرنة فدهشوا لدى رؤيتها من سلوك ميرزا يحيى المخزي.⁽³⁾

⁽³⁾ بالرغم من علمه بمحفوبياتها، أشار حضرة بهاء الله على حاملها بتنفيذ تعليمات ميرزا يحيى وتسليمها.

كأن لم تكفي أعمال الخيانة هذه، فقد قرر ميرزا يحيى توسيع نطاق تمرده إلى دوائر لم يطأها من قبل. واعتقاداً منه أن حضرة بهاء الله سيظل متحملًا كل تهمة باطلة وكل قدر من سوء المعاملة بالصبر والتسليم، فقد بعث عريضة إلى خورشيد باشا، والتي أدرنة، ونائبه، عزيز باشا. دبج تلك المراسلة، التي شارك الوالي بها حضرة بهاء الله، بلغة وأسلوب متذلل وتضمنت ادعاءات باطلة ضد حضرة بهاء الله تهدف النيل منه بنظر الوالي الذي كان من أشد المعجبين بحضورته. إحدى اتهامات ميرزا يحيى الباطلة كانت أنه حُرم من استلام حصته من معونة الحكومة المخصصة لحضوره بهاء الله وجماعته من المنفيين. دعمًا لذلك الادعاء أرسل إحدى زوجاته لمقابلة الوالي والشكوى لديه بأن مخصصات زوجها من الإعانة قد منعها حضرة بهاء الله عنهم مما أدى إلى اقتراب أطفاله من الماجاعة.

كما سبق أن ذكرنا، فإن الحقيقة هي أن حضرة بهاء الله كان دومًا يعيي وعائلته. حتى عند اعتزاله في بيت رضا بيك، كان قد رتب لميرزا يحيى ليستلم كامل حصته من معونة الحكومة.

وصل الحاج ميرزا حيدر علي إلى أدرنة عقب هذه الأحداث الشائنة ببضعة أشهر وفاز بمحضر حضرة بهاء الله عدة مرات، وقد كتب بخصوص عريضة ميرزا يحيى هذه الكلمات:

وكذلك عندما قام أزل على الإعراض والاعتراض والعناد والاتهامات والمفتريات على جمال المقصود⁽⁴⁾ بكل قوى إبليس، كتب عريضة إلى والي أدرنة... رأينا جميعنا⁽⁵⁾ تلك الرسالة. افتتحها بهذه العبارة: 'روحى وجسمى لك الفداء.' ثم مضى يقول: 'يا أيها العزيز⁽⁶⁾ قد جئناك بضاعة مزاجة أوف لنا الكيل.' ثم يستمر في اتهامه الباطل لجمال القدم بقطع معاشه عنه.

كان عنوان عريضته ومقدمتها وشكواه تبرهن كلها على أن الحق لا يمكن أن يشتبه على الإنسان، وليس هناك شبه بينهما. نرى الفرق، على سبيل المثال، بين الاثنين في هذه الكلمات النازلة من قلم جمال القدم والاسم الأعظم مخاطباً السلطان عبد العزيز⁽⁷⁾: "يا رئيس اسمع نداء الله الملك المهيمن القيوم. إنه ينادي بين الأرض والسماء ويدعو الخلق إلى المنظر الأبهى".

⁽⁴⁾ حضرة بهاء الله.

⁽⁵⁾ يعني هو نفسه وعدد من أتباع حضرة بهاء الله.

⁽⁶⁾ عزيز باشا، نائب والي أدرنة.

⁽⁷⁾ هذه السورة موجهة في الواقع إلى عالي باشا، الصدر الأعظم (رئيس الوزراء).

في هذه السورة المباركة ينبع بزوال مُلك السلطان من يده وسقوطه عن عرش سلطنته . . . ولنعد لحدينا: لقد أثبت حضرة بهاء الله للوالي ، بواسطة مندوب كلفه بالمهمة ، بأن مفتريات ميرزا يحيى كانت باطلة وشرح له في رسالته ، كيف كان الهدف منها أذيّته والمسّ بمقامه . . .

انتشرت اتهامات ميرزا يحيى إلى أرجاء واسعة قاصية. كتب حضرة شوقي أفندي بهذا الخصوص:

... وسرعان ما بلغه (حضره بهاء الله) أن ذلك الأخ نفسه (ميرزا يحيى) قد أرسل إحدى زوجاته إلى سرای الحكومة تشكو من أن زوجها قد اغتصبت حقوقه ، وأن أولادها على وشك الهلاك جوعاً ، وهو اتهام ذاع أمره وشاع طولاً وعرضًا حتى بلغ الآستانة ، وأصبح مصدر حزن شديد لحضره بهاء الله لأنه صار موضوعاً للقليل والقال ومثاراً للتعليقات اللاذعة في الأوساط والدوائر التي تأثرت من قبل بمسلكه النبيل الوقور الذي سلكه في تلك المدينة.

في لوح نزل في حق الشيخ سلمان،⁽⁸⁾ يصف حضرة بهاء الله لوعة قلبه نتيجة ما اقترفته يدا ميرزا يحيى من شنيع الأعمال. ويعدد فيه مفترياته بشأن حصته من المعونة الحكومية، مقرراً بأن هذه كانت دوماً توزع بين المنفيين، ويدرك بأنه لو لا مسؤوليته تجاه أصحابه من المؤمنين لما قبل نفسه باستلام معونة الحكومة رغم ما كان سيؤدي ذلك العمل من مصاعب وضيق. كما سنرى فيما بعد، فإن حضرة بهاء الله، خلال فترة اشتداد حملة المفتريات، قد رفض استلام هذه المعونة المالية واضطر لبيع بعض ممتلكاته لتوفير قوت معيشته.

إن إحدى ملامح حياة حضرة بهاء الله أنه رغم ولادته في إحدى أغنى الأسر في إيران، وعاش عدة سنوات في محيط باذخ، إلا أنه قضى أربعين عاماً من بعثته في تقشف لم يعهد قط في أوائل عمره. في مدة العامين التي عاشها في عزلته معتكفاً في جبال كردستان، كان في منتهى الفقر بحيث لم يكن لديه غير الحليب غذاء لأيام عديدة. كذلك الحال في أيامه في بغداد التي عاش فيها حياة بسيطة اضطر خلالها أن يتحمل كثيراً من الضيق والحرمان. يؤكد ذلك في أحد الواحات: "أتى على جمال القدم في العراق حين من الدهر... لم يكن له فيه سوى قميص واحد، يُغسل ويُجفف ويُلبس من جديد." (١٠) وكذلك في أدرنة وعكا قبل بروح التسليم ما فرضه عليه عدو قاس من مصاعب وحرمان.

⁽⁸⁾ انظر الفصل الثالث عشر وكذلك المجلد الأول، الصفحتان 115-120.

مع أن كثيراً من المؤمنين قدّموا لحضرته الهدايا، بدافع من حب متفان، وغالباً بتضحية ما هم بحاجة له، إلا أنه دأب على توزيع مثل تلك الهبات على الفقراء بينما عاش نفسه في منتهى البساطة. فمثلاً ترك حسين آشچي، الشاب الكاشاني الذي طوع لخدمة حضرة بهاءالله كطباخ في أدرنة ثم عكاء فيما بعد، هذا الوصف للأيام التي قضاها في بيت "أمر الله" في أدرنة:

كان ذلك البيت (أمر الله) كبيراً جداً وفخماً. في جزئه الخارجي الواسع اعتاد أحباء حضرة بهاءالله على الاجتماع واللقاء في انجذاب ونشوة من فيض جمال قدسه الفريد... لكن أسباب العيش كانت ضئيلة لضيق الحال وقلة المال. ففي معظم الأحيان لم يكن هناك ما يقدم لحضره بهاءالله من طعام غير الخبز والجبن. كنت أجمع كل يوم شيئاً من اللحم والزيت وأحفظه في مكان خاص حتى يكون لدى مقدار منه يكفي لطبخ وجبة. عند ذاك كنت أدعو حضرة بهاءالله لتناول الطعام وهو جالس على عشب الحديقة. استطعنا بعد فترة توفير بعض المال لشراء بقرتين ومعزاة. كان الحليب واللبن منها يقدم لأهل البيت المبارك...

في الشتاء كان هناك موقد⁽⁹⁾ في كل غرفة وكنت مسؤولاً عن إيقاد الفحم. وللتوفير في الاستهلاك كنت أزن مقدار الفحم لكل موقد. لـما أوصل أحدهم خبر ذلك لحضره بـهـاء الله بـعـث في طلبي وتفضـل قـائـلاً: 'سـمعـت بـأـنـك تـعـد قـطـعـ الفـحـم عـدـا عـنـد تـزوـيد كـل موـقـد!'، قالـها مـبـتـسـماً وـقـد سـرـ بـمـا سـمـعـ، وـعـبـرـ عـنـ موـافـقـتهـ بـأنـ التـوـفـيرـ كانـ ضـرـورـيـاً فـي مـنـزـلـ كـبـيرـ.

بـسبـبـ أـفعـالـ مـيرـزاـ يـحيـىـ والـسـيـدـ مـحمدـ الضـارـةـ، اـضـطـرـ حـضـرـةـ بـهـاءـ اللهـ لـإـنـهـاءـ اـعـتـكـافـهـ الـذـيـ دـامـ قـرـابـةـ شـهـرـيـنـ، وـالـخـروـجـ لـحـمـاـيـةـ أـمـرـ اللهـ منـ هـجـمـاتـ الـخـائـنـيـنـ. فـيـ هـذـاـ الـوقـتـ قـامـ حـضـرـةـ بـهـاءـ اللهـ بـطرـدـ السـيـدـ مـحمدـ مـنـ مـجـلـسـ أـتـبـاعـهـ وـسـرـعـانـ ماـ تـبـعـهـ "الفـصـلـ الـأـكـبـرـ" الـذـيـ كـانـ الـانـفـصالـ الـواـضـحـ مـاـ بـيـنـ أـتـبـاعـ حـضـرـةـ بـهـاءـ اللهـ وـأـتـبـاعـ مـيرـزاـ يـحيـىـ، ذـلـكـ الـافـتـرـاقـ الـذـيـ أـصـبـحـ عـلـيـاًـ. أـحـدـثـ فـتـرـةـ اـنـزـوـاءـ حـضـرـةـ بـهـاءـ اللهـ لـمـدةـ شـهـرـيـنـ أـثـرـاًـ أـشـبـهـ بـفـرـاغـ روـحـيـ لـجـمـاعـةـ الـمـنـفـيـنـ فـيـ أـدـرـنـةـ. فـقـدـ خـلـقـتـ اـمـتـحـانـاًـ عـظـيـمـاًـ كـانـ نـتـيـجـتـهـ أـنـ أـظـهـرـ كـلـ وـاحـدـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ مـنـ الإـخـلـاصـ وـالـإـيمـانـ. فـلـمـاـ وـقـعـ الـفـصـلـ عـرـفـ كـلـ شـخـصـ مـوـقـعـهـ وـالـجـانـبـ الـذـيـ يـنـتـمـيـ إـلـيـهـ. عـلـىـ أـيـةـ حـالـ، فـإـنـ الـغالـبـيةـ الـعـظـمـىـ مـنـ الـمـنـفـيـنـ ثـبـتوـاـ فـيـ وـلـائـهـمـ لـحـضـرـةـ بـهـاءـ اللهـ وـأـمـرـهـ. لـمـ يـطـرـدـ غـيـرـ عـدـدـ ضـئـيلـ مـمـنـ تـبـعـواـ مـيرـزاـ يـحيـىـ مـنـ مـحـضـرـ حـضـرـةـ بـهـاءـ اللهـ. وـانـحـازـتـ عـدـةـ نـفـوسـ مـنـ ذـوـيـ الـمـطـامـعـ وـالـشـخـصـيـاتـ الـأـنـانـيـةـ فـيـ إـيـرانـ إـلـىـ مـيرـزاـ يـحيـىـ. بـذـلـكـ أـمـدـدـوـهـ بـمـزـيدـ مـنـ

وعاء متنقل من الحديد يوقد فيه فحم الخشب للتدفئة في الشتاء. ⁽⁹⁾

الدعم، وكما سنرى لاحقاً، فإنه بتحريض من السيد محمد، كثف من نشاطاته الشريرة ويدر بذور الفرقة والفساد لدى السلطات في عاصمة الإمبراطورية العثمانية.

"كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ٢"